العقم في المرأة

شغلت مسألة عقم المرأة العلماء ، ولا سيما الأطباء ، في كل العصور بالنظر لأهميتها في بقاء النوع البشري ولرغبة النساء خصوصاً في الحمل . وقد كانت الشعوب القديمة تنظر لمسألة العقم نظرة خاطئة جداً وبعيدة كل البعد عن نظرة الشعوب الحديثة ، معتقدين أن حدوث الحمل أمرٌ موكول إلى القضاء والقدر . وبعضهم كان يؤمن بأن الحمل خاضع لأمر الآلهة والأصنام ، ولذلك كانوا يلجئون في حالة العقم إلى تقديم الهدايا والقرابين . وعند ما تطوّرت أفكار الشعوب على مرّ العصور أخذوا ينكرون إنكاراً باتّاً تلك الخزعبلات والعقائد الدينية ويُبدلوا أفكارهم هيّناً فشيئاً وفقاً لتطوّر العلم الحديث . ومما يؤسف له جداً أن معظم الناس في أيامنا هذه يضعون كل اللوم على الزوجة إذا لم تنجب أطفالاً لزوجها ، مع أن هذا الزوج نفسه قد يكون هو السبب في عدم الحمل ، سواء لتفريطه بقواه قبل الزواج ، أو لإصابته بأمراض تمنعه من التمتع ببنين . ولهذا نرى الرجل يطلّق امرأته ظلماً وعدواناً ويقترن بامرأة ثانية ، وإذا لم تلد هذه أيضاً فانه يطلّقها ويبحث عن زوجة ثالثة وهكذا ، وكم من النساء البريئات المتمتعات بأعضاء كاملة التركيب وأهلاً للحمل الطبيعي والولادة قد طلقهن أزواجهن لأنهن ، حسب زعمهم ، لم ينجبن أطفالاً مع أنهن او تزوجن برجال سليمين وأصحاء البنية كن قابلات للحمل . ولذلك يقتضي قبل مداواة عقم المرأة إن وُجد ، إخضاع الزوج أولاً لمعاينة طبية لمعرفة ما إذا كانت صحته جيدة وسالماً من الامراض المعدية لنحكم بأنه قادر فعلاً على الانعمال ، وإذا كان مريضاً يُعالَج الى أن يشفى شفاء تاماً ، واذا كان مرضه ميؤوساً منه ، فلا فائدة تُرجى من مداواة زوجته .

وعلى كلٍّ فالطبيعة لها أسرار غامضة لا يمكن سبر غورها حتى للطبيب نفسه . ولهذا يتحتم على كل امرأة مصابة بالعقم أن تنتظر مدة من الزمن بعد زواجها حتى إذا انقضت هذه المدة ولم تظهر فيها علامات الحمل ، أمكنها حينئذٍ مراجعة أحد الأطباء الاختصاصيين

ليرشدها الى ما يجب عمله . فكثيراً ما يتأخر الحمل سنين طويلة بعد الزواج ثم تحمل المرأة فجأة . وأعرف سيدة مضى على زواجها ١٨ عاماً وكانت تتمتع مع زوجها بصحة جيدة . فبذلت كل ما يمكن من الطرق اللازمة والمساعي عند بعض الاختصاصيين ، لكن ذهبت أتعابها بدون طائل وبقيت عقيمة . ولكن بعد انقضاء تلك المدة الطويلة أخذت تشعر فجأة بأعراض الحمل وبحركة الجنين في أحشائها . فكان لهذا الحادث المفاجيء رنّة فرح وغبطة لا توصف أفعمت قلبها وقلب زوجها وذويها معاً .

ولا ينكر أن بعضاً من النساء المتزوجات لا يكترثن كثيراً بالحمل ، بل ستيان عندهن مجيء الأولاد أو عدم مجيئهن . على أن السواد الأعظم منهن كما هو معلوم لا همّ لهن ولا رغبة إلاّ الحصول على بنين ، وقد يبذلن في هذا السبيل أعز ما يملكن تحقيقاً لهذه الغاية التي طالما شغلت بالهن عن كل شيء آخر . ومن سوء الحظ كثيراً ما تفشل المرأة في تحقيق هذا الأمل المنشود بالرغم من مراجعة الأطباء الاختصاصيين فيعتريها إذ ذاك اليأس والقنوط . وقد تصاب حينئذٍ بالنوراستنيا ، أو اذا هئت فقل يمس من الخبل أو الجنون . على أن معرفة أسباب العقم وعلاجها قلما تبقى مستعصية ، بل هي تزول إذا اتبعت المرأة طرق العلاج القانونية التي يشير بها الطبيب .

أسباب العقم

١ — للعقم أسباب كثيرة متنوعة : نذكر منها في الدرجة الأولى السيلان الذي تنتقل عدواه من الرجل الى زوجته . ويقدّر بعض العلماء أن هذا الداء الخبيث مسئول عن ٥٠ في المائة من حالات العقم ، وآخرون يعزون إليه تسبيب ٣٠ في المائة من العقم نفسه . ولهذا يجب أولاً معالجة السيلان وتمام الشفاء منهُ قبل الافتكار بمعالجة العقم الناتج عنه .

٢ — وهناك أيضاً الزهري : وهو داء معروف يعمل بدوره على تسبيب العقم . وإذا حملت المرأة وكانت مصابة بهذا الداء فكثيراً ما تصاب بالاسقاط من وجود سمّه في جسدها . والأطفال غالباً ما يولدون وقد ورثوا المرض من والديهم . ولهذا تجب معالجته معالجة كاملة قبل المباشرة بمداواة العقم . وإذا كانت المرأة حامل فيواصل تطبيبها طوال مدة الحمل ، فيما اذا كانت مصابة به ، دفعاً للإجهاض .

٣ — وبين عوائق العمل الأخرى : البدانة المفرطة لاصطحابها باختلال افراز الغدد الباطنية، وهذه تعمل على احداث العقم عند كثير من الناس . ويجب أن نميز هنا ثلاثة أنواع من البدانة : فالنوع الأول منها يظهر باكراً في دور الطفولة أو في دور البلوغ ، والنوع الثاني يبدو في المرأة الشابة المتزوجة حديثاً وذلك منذ بضعة شهور فقط ، وفي هذه الحالة تأخذ الوظائف الحيضية تضعف عندها مع الزمن . وأخيراً النوع الثالث الذي يحدث من البدانة المكتسبة نتيجة افراط التغذية .

٤ — مفعول التسممات بأملاح الرصاص والتبغ والكحول : لهذه أيضاً تأثير يُذكر في احداث العقم . أما من جهة تأثير المناخ ونوع الطعام والقرابة الأبوية Consanguinité فليس فيها ما يسبب العقم كما يتصوّر بعضهم ، وهكذا قل عن الاجهاد الجسمي والعقلي — بعكس الاضطرابات الحيضية التي لها على ما يظهر تأثير مباشر وثابت في احداث العقم نفسه . ولنأخذ مثلاً على ذلك امرأة عمرها بين ٢٠ و ٣٠ سنة ، أتاها الطمث دفعةً واحدة وبصورة منتظمة في السن ١٢ الى ١٥ سنة ، وكانت الأدوار الشهرية عندها منتظمة دائماً . فهذه المرأة سيأتيها أولاد ٩٩٩ في الألف . بعكس المرأة التي يتأخر حيضها الى السن ١٦ — ٢٠ والتي تشعر غالباً باضطراب وانزعاج في جسمها مع آلام حادة نوعاً في منطقة المبيضين . فامرأة كهذه تكون بلا ريب أقل قابلية بكثير من الأولى في انجاب الأولاد .

٥ — اعوجاج الرحم أي انحنائه أو انحرافه بحيث أن فمه لم يعد متوسطاً : هذه الأسباب لا تعتبر فعلاً كافية لاحداث العقم إذا لم تكن مصحوبة بالتهاب في هذا العضو . والمهم في الأمر أن يكون وضع الرحم في محله أي لا يكون منحنياً لا الى الأمام ولا الى الوراء . فاذا كان كثير الانحناء إلى الأمام لامس المثانة ، وإذا كان منحنياً إلى الوراء لامس المستقيم . وفي كلتا الحالتين يتغير وضعه الطبيعي ولا يتم الإلقاح . .

٦ — التهاب المبيضين ووجود أورام في الرحم : إذا كانت المرأة مصابة بالتهاب في المبيض أو في عنق الرحم ناتج عن دخول الجراثيم ، فهذه الالتهابات كثيراً ما تفضي على النسل . وهكذا قل من وجود أورام في الرحم نفسه كالورم الليفي (فيروما) مثلاً ، أو السرطان أيضاً . وقد تباينت آراء الأطباء حول هذه النقطة : فمنهم من يقول أن الفيروما لا يمكن أن تكون بحدّ ذاتها سبباً كافياً في منع الحمل ، وآخرون يرون أن وجود هذا الورم

عند المرأة يمنع وقوع الحمل . أما السرطان فوجوده في جسم الرحم يناوئ وقوع الحمل على ما يؤكده فريق كبير من الاطباء الاختصاصيين . أما الذي يسمع في عنقه فلا يكون مانعاً من وقوع الحمل نفسه ؟ »

٧ — الأسباب النفسيّة العقلية : وهي تسبب عند بعض الأشخاص تقلصاً بإحداث حالة نفسيّة تجعل مجرّد الافكار بالجماع يسبب تشنجاً في الأعضاء التناسلية والعضلات المهبلية الخ، مما يجعل الجماع أمراً متعذراً يورث العقم . ويشاهد ذلك عادةً في حالة التنافر التناسلي الذي ينتهي بالطلاق غالباً .

٨ — داء السل والبيلة الآحينية Albuminuria والداء السكري : لداء السكري والبيلة الآحينية تأثير لا ينكر في احداث العقم — بعكس السل فانه لا يمنع بوجهٍ عام من تسبيب العقم عند المرأة . ولكن الافضل لهذه أن تكون عاقراً من أن تنجب أولاداً وهي مصابة بهذا المرض .

٩ — وجود نقص أو تشويه في أعضاء الحمل : ومن موانع الحمل أيضاً حدوث العقم إصابة المرأة منذ ولادتها بنقص أو تشويه في أعضاء الحمل مما يقف الطب حياله عاجزاً عن اصلاح النقص الموجود . وهكذا قل عن ضيق الحوض الذي يضطر الطبيب حياله الى اجراء العملية القيصرية التي تنجح في أغلب الأحيان .

١٠ — كبر السن : المعروف أنه كلما دنت المرأة من سن اليأس قلّت الفرصة أو ضعف الأمل في حملها ، غير أن أغلب السيدات لا يردنَ أن يفهمنَ ذلك !

وقد أثبتت الاحصاءات الرسمية أن العقم في النساء يتراوح بين ١٤ و ١٦ في المائة . وبعبارة أخرى أن من كل ١٠٠ امرأة ١٤ الى ١٦ لا يصرنَ أمهات أبداً ، بينما تتراوح نسبته في الرجال بين ١٨ — ٢٠ في المائة .

ما الذي يمكن عمله لعلاج العقم : يتوقف هذا العلاج على معرفة السبب أو الأسباب الحقيقية التي أدّت الى هذا العقم والعمل على إزالتها إن أمكن ذلك . أما إذا بقيت الطرق العلاجية والدوائية عقيمة فلا مندوحة إذ ذاك عن تجربة التلقيح الصناعي باجراء حقنة صغيرة لتقابل المادتين المكونتين للجنين واتحادهما معاً . وتفيد هذه الطريقة خصوصاً عند النساء اللاتي يصاب جهازهنّ التناسلي بتشنجات أو انقباضات تمنع المادتين المذكورتين من الدخول في رحم المرأة ، أو في حالات أخرى أيضاً مثل وجود انحراف بولي أو ضيق في المجرى أو ارتخاء الزوج الخ توجب تلقيح الزوجة صناعيًّا إن كانت تروم الأولاد ، غير أنه يجب القول أن هذه الطريقة لم تصادف النجاح المطلوب الاّ نادراً .

بيروت الدكتور عبده حمدي